الأهرام

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: المصور

التاريخ : ١٩٧٦/١/٢

المسيرة الطويلة
من الهزيمة إلى النصر

خمس سنوات مع الرجل الذى أحال هزائمنا إلى انتصارات

السادات.. رجل الطريق الأصعب

● فى الحلقة السابقة تحدثنا ـ اجمالا ـ عن الطريق الاصعب ، الذى اختاره الرئيس محمد انور السادات لحل كثير من مشاكلنا ، والذى نريد ان نقوله اليوم ـ بالتفصيل ـ ان هناك الكثير من الطرق ، لحل المشاكل الكبرى التى تعترض الشعوب : يوجد الطريق السهل ، كما يوجد الطريق الصعب ، كما يوجد ـ فى الوقت نفسه ـ الطريق الاصعب ، وفى بعض الاحيان لا يكلف الطريق السهل شيئا بعكس الطريق الصعب الذى يحتاج الى بعض الجهد ، اما الطريق الاصعب فانه عادة يحتاج الى الكثير من الجهود الشاقة المضنية وفى بعض الاحيان لا يؤتى الطريق السهل ما يراد من ثمار مرجوة لان ما يمكن نيله عادة بسهولة قد يفقد ايضا بسهولة كما ان الطريق الصعب قد لا يحقق عادة من النتائج الا بقدر ما بذل فيه من جهد اما فيما يتعلق بالطريق الاصعب فان النتائج عادة ـ ايضا ـ تكون كثيرة وتكون ايضا مؤكدة وقديما قيل ان الجواهر الثمينة ، والاحجار الكريمة لا يمكن الوصول اليها الا بالجهود الكبيرة تماما كالغائص فى المحيطات او البحار لا يصل الى الثمين النادر من اللآلىء ، الا اذا وصل الى اعماق ، اعماق المحيطات ، والبحار ،

وليس معنى ذلك القول اننا نفضل باستمرار اللجوء ، الى الطريق الاصعب . واننا لا نفضل غيره من الطرق فقد يكون الطريق السهل موصلا ، سريعا الى الخير، وقد يكون كذلك الطريق الصعب بعكس الطريق الاصعب ، فقد يكون ما يبذل فيه من جهود غير متلائم مع ما يحققه من نتائج ولكن لكل حالة لبوسها كما يقولون ولكل هدف كبير ينبغى أن يختار الطريق الذى يوصل اليه وعادة عندما يكون الهدف كبيرا ، يكون الطريق صعبا . وعندما نستعرض تاريخ انور السادات بالذات نجد انه ثقة منه فى نفسه وايمانا منه بالقضايا ، التى نذر نفسه للدفاع عنها يختار دائما الطريق الاصعب غير مبال بما يقدمه من تضحيات وهو يختار ذلك الطريق : بعد ان تخرج انور السادات فى الكلية الحربية ، ودخل معركة العمل الوطنى كان يستطيع - كما فعل كثيرون من زملائه - ان يختار الطريق الذى يضمن له السلامة : السلامة فى الوظيفة ، السلامة فى الحياة العامة ، السلامة فى كل شىء ولا يختار الطريق الاصعب ، الذى يتعرض فيه للفصل من الجيش ثم السجن والاعتقال والتشريد، ولكن انور السادات ، آثر منذ مطلع شبابه الباكر ، ان يختار الطريق الاصعب غير عابىء ، بما يقدمه من جهد ، ومايتعرض له واهله من مشاق ، وما يبذله فى سبيل مايقوم به من جهد وطنى من تضحيات

●

وعندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ كان انور السادات يستطيع ان يختار الطريق السهل فلا يعرض نفسه منذ اللحظة الاولى لقيام تلك الثورة للعديد من المخاطر - اقلها المحاكمة - فيما لو فشلت الثورة لانه هو الذى افصح عن شخصيته ، وهو الذى اذاع البيان الاول - من الاذاعة - لثورة ٢٣ يوليو ، وكان انور السادات - بعد نجاح الثورة - يستطيع ايضا - ان يختار الطريق السهل طريق الوزارة ، او رئاسة الوزارة ، او طريق الحياة الرغدة المطمئنة فى احد القصور المصادرة او غير المصادرة، دون ان يبذل اى جهد ودون ان يتعرض لاية محنة قد يتعرض لها اى حاكم ولكنه آثر ان ينأى بنفسه عن المناصب الحكومية وان يختار لنفسه ميادين العمل الشاقة المضنية كان يختار مثلا انشاء اول دار صحفية ثورية فى وقت لم يكن فيه كادر صحفى ثورى يستطيع أن يساهم فى حمل عبء تلك المهمة الشاقة ، او كان يختار مثلا العمل فى ميدان بكر ، لم يسبق اليه احد قبله ونعنى به المؤتمر الاسلامى الذى كان ظهوره وقتئذ - كما يقول انور السادات - دليلا ناصعا على ما تتمتع به الامة الاسلامية من حيوية لا تخبو جذوتها ولا تفتر حدتها مهما طالت بها الفترة ، واستسلمت مكرهة لعوادى الزمن وآفات الشعوب . وبرهانا ساطعا ، على ان هذا الدين الكريم ذو سيطرة روحية قوية لا تدع المسلم ينهار حتى يفنى او يستخذى حتى يذوب فى اتون الحوادث ، انشأ انور السادات المؤتمر الاسلامى ، الذى بزغت فكرته - كما قال ايضا الرئيس السادات - من قلوب المؤمنين الصادقين من قادة هذه الامة ، وخرجت الى العالم قوة جديدة رائدها الخير تجمع الشمل المبدد وتعبىء القوى المعنوية الضائعة ، وتعمل على نشر الاسلام ورفاهية الانسانية وتحقق معنى ساميا من معانى الاسلام حرص عليه اشد الحرص وبفضله استوى المسلمون ، على عرش الزمان يتحكمون فى مصائر الايام ويهدون الناس سواء السبيل » وما لبثت الفكرة ، التى حملها المؤتمر الاسلامى بجهد سكرتيره العام انور السادات أن تبلورت واتخذت شكلا عمليا ساهم فى دراسة احوال المسلمين وظروف حياتهم فى شتى بلادهم النواحى الدينية والتاريخية والاجتماعية، وفى تقديم المعونة الفنية فيما يتصل بمستوياتهم الثقافى والصحى ، والمادى ، والفنى كما ساهم فى توثيق العلاقات الاقتصادية والمالية بين المسلمين ، وفى تنسيق الاوضاع الشرعية والقانونية لاحوال المسلمين ولعلاقاتهم وتوحيد ما يمكن توحيده منها الى جانب انشاء وتوطيد العلاقات الثقافية والتعاون فى امور التعليم بجميع مراحله ، وتهيئة الظروف المواتية والمشجعة لنشر العلم والثقافة بين جماعات المسلمين ، وكان عمل انور السادات فى هذا المجال الجديد نوعا من الجهاد المقدس استمد فيه - كما قال - القوة والعون من روح الاسلام ، المتألقة ، وتاريخه الناصع فمضى قدما فى وضع اللبنات الاولى فى هذا الصرح وهذه المؤسسة الاسلامية الكبرى .

وعندما آلت القيادة الى انور السادات فى احلك الظروف واقساها واشدها عتمة وظلاما وكانت السلطة الفعلية كلها فى ايدى مراكز القوى التى كانت تقبض بيديها على كل شىء وتتحكم باجهزتها الدقيقة ، فى كل كبيرة وصغيرة من امور البلاد ، كان انور السادات يستطيع ان يختار الطريق السهل فيحقق لاقطاب مراكز القوى - وهم قلة تقد على اصابع اليد الواحدة - ما كانوا يريدونه من مال وجاه ، وسيطرة وقد كانوا راغبين فى ذلك ، على ان يكتفى هو بالسلطة الاسمية التى تضمن له السلامة ، ولكن انور السادات اختار الطريق الاصعب فدخل ولم يكن قد مضى على مبايعة الشعب له بالاجماع اكثر من ثمانية اشهر ضد هذه المراكز القوية المتسلطة القادرة على كل شىء معركة الحياة والموت ، تلك المعركة التى كانت فى بدايتها غير متكافئة على الاطلاق والتى استطاع الشعب لثقته فى قيادته ان يحسمها بسرعة ، اقول ان انور السادات اختار يومئذ - ١٥ مايو ١٩٧١ - الطريق الاصعب طريق العمل الوطنى الجاد ، طريق صنع الامل ، والمستقبل ، طريق الحياة بكل ما تعنيه الحياة من معانى القوة والكرامة والشرف ، طريق بناء مصر العربية ، بالعلم والايمان .

وفيما يتعلق مثلا بعلاج حالة التمزق الداخلى ، التى كان يعانى منها اقسى المعاناة ، كل ابناء مصر منذ نكبة يونيو ١٩٦٧ والتى استغلها الخصوم والاعداء ، لتخريب الجبهة الداخلية ، ولزعزعة ايمان شباب مصر بقيادته فكانت اشنع حرب نفسية وجهت الى شعبنا عبر تاريخه الطويل ، كان انور السادات يستطيع منذ البداية ان يضع كل النقط فوق الحروف ، يوضح للشعب كل ما كان يجرى من اتصالات دولية مع الاصدقاء وغير الاصدقاء طوال عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وكان انور السادات ،

السادات رجل الطريق الاصعب

يستطيع ان يخرج من كل هذا الموقف المتازم بتصفيق الجماهير ، له ، وهتافها باسمه: كان انور السادات - مثلا - يستطيع ان يتراجع فى قضية الديمقراطية وقد ظهرت اخطاء عديدة فى اثناء الممارسة ، كان انور السادات - مثلا - يستطيع ان يختار الطريق السهل ، فيقبض على كل مخالف له فى الراى ، ويعيد الى البلاد حالة «اللاقانون» ولكنه اختار ايضا الطريق الاصعب ، آثر انور السادات ، ان يغلب المصلحة العليا، على المصلحة الخاصة ، آثر ان يكتم كل شىء حتى لا تضار القضية الكبرى من قريب ، او من بعيد : آثر ان يستمع بنفسه الى تلك الصرخات التى كانت تنتقد ظلما سياسته لان فى ذلك فائدة كبرى لبلده وان كان فيها من المعاناة ، لشخصه الشىء الكثير آثر ان تستمر تجربة الديمقراطية كما وضع اسسها فالديمقراطيه هى صوت الجماهير وحركة الجماهير وبلا وصاية ، وكما قال انور السادات : اننى قد اخترت ان تفتح الابواب ، وتمارس الديمقراطية مع انى اعرف ان للممارسة اعباءها وتكاليفها : مهما بدت من محاولات مصطنعة لابراز التناقض بين طبيعة المرحلة وبين مقتضيات الممارسة الديمقراطية فاننى اخترت الطريق الصعب وهو انه لا عودة الى الوراء فى الممارسة الديمقراطية : فى ١٥ مايو انتهت مراكز القوى وخرج الشعب كله يدين هذه المراكز ، وخرج الشعب كله ينادى بممارسة الديمقراطية فى النور ، وليس فى الظلام . اننا خضنا معا تجربة ١٥ مايو وكنا ندرك ان بعض الجوانب السلبية فى تجربتنا العظيمة لم يعد لها هم غير انتهاز الفرص، لتضرب التجربة ذاتها وتصفى مكاسبها ، وايجابياتها وكانت وقفتنا معا فى ذلك اليوم هى التى صانت اطار التجربة العظيمة لثورة ٢٣ يوليو وازاحت عنه كابوسا كان يهدده كل انسان يقول رايه بصراحة ولا يستطيع احد ان يحجب رأى احد ، كان الشعب فيما واجهنا معلمنا جميعا وسابقا، باستمرار على الاتجاه السليم : اريد مشاركة حقيقية لا اسمية من كل هيئة وفئة من فئات الشعب.

تعرضت قضية الممارسة الديمقراطية فى بلادنا لمخاطر شديده لاسباب خارجية وداخلية كل الذين كان متوقعا منهم أن ينتضوا عليها ومن بعض الذين كان متوقعا منهم ان يدافعوا عنها : ان المناقشات على ارضنا يجب ان تدور ، ومن المصلحة أن تدور بغير حواجز : لا توجد ولن توجد حقوق او حريات مطلقة لان الحق والحرية ممارسة، والممارسة تجرى فى مجتمع ولا يمكن لانسان ان يتمتع بحقه وحريته الا فى حدوداحترام حقوق وحريات اخرى : سيادة القانونهى الضمان الحقيقى لحرية الفرد ، كما انها الضمان الحقيقى لحرية المجتمع : سيادة القانون تفرض من الواجبات والمسئوليات بقدر ما تكفل من حقوق وحريات .

وفيما يتعلق بالموقف من الشرق ، والغرب ، كان انورالسادات ـ منذ البداية ـ يستطيع ان ينطوى تحت اى لواء فللتوتين الاعظم فيضمن الابتعاد ، عن كل المشاكل، ويجنب نفسه خوض الكثير من المعارك،ولكن انور السادات باثر ـ كما سبق ان ذكرنا ـ اختيار الطريق الاصعب : رفض ان يعيش بلدنا عالة على الغير ، رفض انور السادات ان يحارب البعض دفاعا عن مصر وحرية مصر ، رفض انور السادات ان تكون مصر تابعة لهذا المعسكر او ذاك، وكان انور السادات يعرف جيدا ان ثمن عدم الانحياز سيكون باهظا ، وان طريق الاستقلال سيكون شاقا ، ومضنيا ، ولكنه فضل الطريق الشاق ، على الطريق السهل ، وتحول أنور السادات ما لا يتصوره بشر ، ومع ذلك لم تهتز الرؤية امامه دقيقة واحدة ولم يتغير ايمانه ولم ينفعل بما لا يجب ان ينفعل به ويضع أنور السادات وهو يحضر للمعركة العديد من الركائز والقواعد والمبادىء فى مقدمتها مثلا اننا يجب ان نضع فى حسابنا اننا نتعامل مع عدو يستند اول ما يستند الى اكبر قوة فى عالمنا المعاصر وهى الولايات المتحدة الامريكية يتلقى منها كل شىء من رغيف الخبز الى الفانتوم وانه لابد لنا من ان نستقرىء تاريخ قضيتنا العربية ليس فقط فى الخمس والعشرين سنة الماضية منذقيام اسرائيل ولكن منذ ان انعقد مؤتمر بال فى سويسرا فى القرن الماضى ، ووضع استراتيجية قيام اسرائيل ثم انه لابد ان ندرس لعبة الامم من حولنا وتاثير علاقات القوى الكبرى فى هذه اللعبات لانه من الجهل بل قد يكون من الخيانة ان نتعرض لمعركة مصيرية بدون ان نعيش عصرنا بكل مؤثراته ومن يتوهم ، اننا نستطيع ان نتصرف فى عزلة عما يجرى حولنا هو جاهل او فى ابسط التعابير ساذج؟ وانه فى سنة ١٩٧٢ انتهى عصر ما يسمى بالحرب الباردة وفى اجتماع القمة بين العملاقين بموسكو فى سنة ١٩٧٢ صدر بيان يبشر بعبارة الاسترخاء العسكرى ، اى ببساطة باستمرار حالة اللاسلم ، واللاحرب ، التى كانت كفيلة بان تحقق لاسرائيل على المدى الطويل كل ما تريد من غير ان تطلق طلقة واحدة ثم ياتى اجتماع القمة الثانى بين العملاقين فى بونيو ١٩٧٣ فيؤكد البيان الذى صدر بما لايدع مجالا لاى شك او لبس على تجميد القضية انتظارا لحل سلمى فى الوقت الذى كانت تحلق فيه طائرات اسرائيل على لبنان، وتتخطى حواجز الصوت ويصرخ زعماء اسرائيل ومسئولوها انهم سيضربون وقتما يشاءون واينما يشاءون وبالطريقة التى يشاءون .

وكان لابد لنا من ان نتاكد من حقيقة تنبع من كل ما سبق : وهى أن العملاقين الكبيرين روسيا وامريكا يحرصان على وجود اسرائيل ويتصرفان كل بطريقته للحفاظ على ذلك فامريكا تعطى التفوق الكامل لاسرائيل على العرب مجتمعين تحت اسم نظرية توازن القوى ، والسوفييت من جانبهم يضعون قيودا على ما يقدمون للعرب من السلاح والتكنولوجيا التى هى مباحة من جانب امريكا لاسرائيل بالكامل ، وكان لابد ان نواجه العالم كله ، فى افريقية وفى اسيا وفى اوروبا وفى امريكا اللاتينية بحقيقة الوضع الذى تضمنته الحرب النفسية الشرسة ، التى قامت بها اجهزة الاعلام فى امريكا والغرب من ان العرب طلاب حرب فى الوقت الذى لا قيمة لهم عسكريا وانهم دائما يرفضون كل الحلول السلمية بهدف القضاء على اسرائيل . وكان علينا ان ندرك ان بندا رئيسيا من بنود استراتيجية اسرائيل الاساسية هو استمرار الصراع العربى والفرقة العربية واستحالة جمع كلمة العرب على اى امر : لقد كان علينا كما يقول الرئيس انور السادات لكى نواجه معركتنا على مستوى كل هذه التحديات وبالمفهوم العلمى ، والعملى للعصر الذى نعيشه ولكى يفهمنا العالم ، الذى يحيط بنا ولا نبدا معركتنا من فراغ ان نمهد بما ياتى : اعداد الساحة العربية ، اعداد الساحة

العالمية عبر افريقية ودول عدم الانحياز ،واخيرا عبر مجلس الامن ، الذى يمثل العالم كله تمثيلا اقليميا كاملا ، ويمتلك سلطة عليا فى أجهزة الامم المتحدة .
وكان ذلك كله اصعب المهام ، واقساها! فيما يتعلق - مثلا - بمعركة التحضير لمعركة العاشر من رمضان وقد تعمدت ان اطلق كلمة المعركة على مراحل التحضير لمعارك العاشر من رمضان لان الجهود التى بذلت للاعداد للحرب كانت جهودا نادرة قلما يوجد لها مثيل فى تاريخنا المعاصر: ان اسرائيل عدونا الاول تتلقى كل يوم ، وكل ساعة ما تريده من مال وسلاح ، بل تتلقى اكثر بكثير من احتياجاتها من السلاح حتى ان بعض القادة العسكريين فى اسرائيل كانوا يتاجرون - فى السوق السوداء - بالاسلحة الامريكية فى فيتنام الجنوبية، مثلا كانت المخابرات الامريكية كلها تعمل فى خدمة اسرائيل كما تعمل وزارة الخارجية الامريكية ووزارة الداخلية وكل سلطة او هيئة فى الولايات المتحدة الامريكية كانت تعمل فى خدمة اسرائيل ، وبعبارة ادق واصرح ان احدى الدولتين الاعظم بكل امكانياتها المادية والمعنوية كانت فى خدمة اسرائيل بينما مصر تقاتل على الصعيد الدبلوماسى ، من اجل الحصول على صفقة معينة من السلاح، سافر السادات بنفسه اكثر من مره الى موسكو وسافرت وفود عسكرية واقتصادية الى كثير من بلدان أوروبا تتصيد صفقات السلاح لان ما عندنا بالنسبة الى ما يملكه العدو قليل ، وقليل .. الميزانية خاوية الوفاض لا تكفى حتى لاقل الضروريات والجبهة الداخلية تكاد تحترق لان تركيز العدو وبعض اولئك الذين كنا نضعهم فى صفوف الاصدقاء كانوا يعملون من اجل احتراق تلك الجبهة الشباب بالذات يكاد يتمزق يوما بعد يوم لان طموحه أكبر بكثير من امكانياته ولانه احس بان اماله فى بلده تكاد تتحطم كل يوم وكان نجاحنا فى معركة التحضير لمعركة العاشر من رمضان بحق اعجوبة من اعاجيب التاريخ الحديث .

فيما يتعلق باعداد الساحة العربية اختار ايضا انور السادات الطريق الاصعب : لم يلجا الى التهديد ولا الى الوعيد، لم يحاول ان يتدخل فى شئون الاخرين : اعتمد فى كل معاركه الساحه العربية على الحب والمنطق واعادة الروح العربية الفتية ، والاعتماد على الاصالة العربية ، وتعرض انور السادات فى معركة اعداد الساحة العربية الى مالم يتعرض له زعيم عربى من قبل لحملات شرسة ضارية : كانت مراكز القوى التى قلت قابضة على زمام الامور فى مصر سنوات وسنوات تسيطر على دكائر عديدة فى الوطن العربى اشترت بعضها بالمال ، المال الوفير الذى كان شعب مصر فى امس الحاجة الى كل مليم منه ، كانت الملايين تنفق هدرا ، لشراء العملاء هنا وهناك : كنا فى بعض الاوقات ندفع الثمن الاعلى ، ، فكان الكثيرون ممن تعودوا على الاستفادة من تلك الطرق غير المشروعة يتسابقون الينا ، ولم نكن نبخل ابدا على اى فرد او جماعة او اية صحيفة فالاموال كثيرة ، واوجه الانفاق كثيره ولا توجد رقابة باية صورة من الصور على من ينفق الالوف ومئات الالوف من الجنيهات ، فيكفى ان يفتح الواحد خزينته فى بيته او فى مكتبه لياخذ ما يريد وليعطى منها مايريد دون الحصول حتى على ايصالات بالاستلام لان المطالبة بايصالات الاستلام امر يمس الكرامة كرامة من يدفع وكرامة من يقبض ! وقد تحول هؤلاء العملاء الى اعداء شخصيين لانور السادات لانه رفض ان يدفع رفض أن يشترى الذمم، والضمائر ، لم يشا ان يكون له عملاء فى الوطن العربى وانما أراد أن يكون له شركاء وشركاء فقط : ماكان اسهل على انور السادات ان ينشىء صحيفة فى بيروت - مثلا - لا يدفع ثمنا لها ، اكثر من ثمن دبابة ، او طائرة ، على اكثر تقدير، ماكان اسهل على انور السادات ان يشترى تنظيما سياسيا معينا هو فى الغالب تنظيم ورقى ينشط فى الدعاية ، لنفسه ، اكثر مما ينشط فى الدعاية للقضية ولديه القدرة على التواجد على صفحات الصحف ، اكثر من القدرة على التواجد فى التجمعات الشعبية ولم يكن انور السادات سيدفع الكثير من اجل شراء هذا التنظيم او ذاك فمثل هذه التنظيمات الورقية لم تكن فى اعوام ٧١ ، ٧٢ ، ١٩٧٥ تتعامل بالملايين وانما كانت تتعامل بالالوف اوعشرات الالوف من الجنيهات ولكن انور السادات اختار الطريق الاصعب فامتنع عن الدفع ، وقامت ثورة الكثيرين ممن كانوا يقبضون وفجاء اصبح السادات بالنسبة لهم « امريكيا ، تصفويا ، استسلاميا، الخ تلك العبارات التى استحدثت فى النصف الثانى من القرن العشرين ، وكان اعلى الاصوات التى انطلقت تهاجم السادات وباشنع التهم ، هم اولئك الذين كانوا على صلة بمراكز القوى وكانوا يحصلون على اعلى المرتبات ، وقد كان انور السادات - ببساطة - يستطيع ان ينشر تلك الكشوف التى احتوت على تلك الاسماء وبعض المبالغ التى استلموها ولكنه لم يشا ان يسكت خصومه بتلك الطريقة السهلة لانه لا يفضل الحلول السهلة! وكذلك كان الامر فيما يتعلق باعداد الساحة العالمية

عبر افريقيةودول عدم الانحياز ؟ ويوم ان يكتب تاريخنا فى تلك السنوات الاخيرة على حقيقته سوف يعرف العالم اية جهود شاقة مضنية بذلت من اجل اعداد تلك الساحة ، وسوف يعرف العالم ان جنودا مجهولين كثيرين سهروا الليالى الطويلة وتحملوا كل المشقات الممكنة وغير الممكنة لتغيير الراى العام العالمى لا فى افريقية واسيا وحسب وانما فى امريكا واوربا واوربا الغربية بالذات ! لقد اعتمدت مصر الاسلوب الهادىء المقنع : لم تلجأ ايضا فى تلك الحالات ، الى سلاح المال لان سلاح المال فى مثل تلك الحالات قد يحقق بعض الانتصارات الوقتية ولكنه لا يستطيع ابدا ان ينجح فى المدى الطويل !

●

وفيما يتعلق بالوجود الاسرائيلى ومحاربته اختار انور السادات الطريق الاصعب ، لقد استقرأ انور السادات تاريخ قضيتنا العربية ليس فقط فى الخمس والعشرين سنة الماضية منذ قيام اسرائيل ولكن منذ ان انعقد مؤتمر بال فى سويسرا فى القرن الماضى ووضع استراتيجية قيام اسرائيل كما درس جيدا لعبة الامم من حولنا وتاثير علاقات الدول الكبرى فى كل تلك اللعبات ، كان انور السادات يستطيع ان يفعل مافعله زعماء سابقون كعبد الكريم قاسم مثلا : يسك ميداليات ذهبية وبرونزية تحمل كلمة (العائدون) ويوزعها على كبار ضباطه وجنوده فى احتفالات رسمية ثم يخطب ويكتب باستمرار ضد اسرائيل مهددا بالويل والثبور وعظائم الامور كان انور السادات - وهو الخطيب المفوه - يستطيع ان يسلب لب الجماهير بالعديد من الخطب الطنانة الرنانة ، التى ينادى فيها بازالة دولة اسرائيل والقضاء عليها فى لمح البصر ، وكان انور السادات يستطيع - وهو الكاتب المبدع - ان يؤثر على مشاعر الجماهير واحاسيسها بالكثير من المقالات عن نهاية دولة اسرائيل والقضاء على «شعب» اسرائيل و . و . و . ولكنه اثر - منذ البداية - ان يختار الطريق الاصعب ، الذى لا يوجد طريق اصعب منه طريق الاستفادة من اساليب العدو فى كل شىء فلكى تقضى على العدو لابد وان تدرس جيدا كيف جاء وكيف بدا العمل ، وكيف راح يقوى ، ويزداد قوة ! لقد دخلت اسرائيل الارض العربية ، عن طريق الخديعة ، عن طريق الاساليب الاستعمارية الملتوية : بدات مثلا بشراء الارض . . بالاستيطان فى فلسطين . باقامة المستعمرات ، بالاعتماد على الشرق والغرب فى كل خطوة تخطوها ! استطاعت اسرائيل ان تستفيد جيدا من اوجه الضعف فينا ! عاشت قبل ان تقوم رسميا ، بربع قرن ، وعاشت بعد ان قامت رسميا بربع قرن ايضا تستفيد من الرفض العربى : الرفض لمجرد الرفض ! الرفض الذى لا يصحبه عمل ايجابى سليم ! استفاد العدو مثلا من كل المؤتمرات التى عقدت فى بريطانيا وفى فلسطين ، ومن كل لجان التحقيق التى شكلتها بريطانيا دولة الانتداب على فلسطين : استفادت اسرائيل مثلا من الخلاف الذى نشا بين الهيئة العربية العليا وبين غيرها من الهيئات الفلسطينية الاخرى ، ثم استفادت من قرار التقسيم الذى رفضه العرب ، وليس هنا مجال الحديث عن الصواب او الخطا فى قبول هذا القرار او رفضه غير ان مراجعة بسيطة للخريطة التى تبين حجم اسرائيل طبقا لقرار التقسيم واسرائيل بعد رفض القرار تبين ان اسرائيل ضمت الى الارض التى منحتها اياها ظلما وعدوانا الامم المتحدة اربعا عربية تفوق فى مساحتها الارض التى كانت مقررة لها فى قرار التقسيم ، اما نحن فلم نفعل شيئا لقيام دولة فلسطين اكثر من اننا ظللنا سنوات طويلة نطلق الرصاص فى مظاهراتنا فى ايام ٢ نوفمبر ٢٩ اكتوبر و . و . و . كما ظللنا سنوات طويلة لا نتحدث فى اذاعتنا وصحفنا ولا نكتب فى اوراقنا الرسمية عن اسرائيل الا ونضيف اليها كلمة المزعومة ، كما ظللنا سنوات وسنوات نعترف بحكومة عموم فلسطين التى وان كانت قد اختيرت من اناس لهم ماض طيب ، الا انها لم تكن تمثل الشعب الفلسطينى . لم يكن وراءها تنظيم سياسى يستطيع ان يمنحها القوة ولم يكن وراءها جيش مسلح يستطيع ان يعلى كلمتها فى المحافل الدولية او يخوض مع العدو الاسرائيلى اية معركة من معارك التحرير . . كل ما كانت تمثل حكومة عموم فلسطين بناية متواضعة - او جزء من بناية متواضعة من احياء القاهرة لا يعترف بها الا بضع دول عربية بينما الدول العربيه الاخرى رفضت الاعتراف بها اما لخلاف على اشخاصها ، واما لانها كانت تعتبر نفسها الاحق بتمثيل الفلسطينيين ! وكان المد الصهيونى التوسعى يحرز المزيد من الارض او من النصر كل جيل تقريبا . منذ ما يقرب من القرن حين جاءت اول موجات الهجرة الصهيونية الى فلسطين دون ان يفلح فى ايقافها شىء ! وكانت النتيجة ان اسرائيل

راحت ـ بعد اعلان قيامها تزداد قوة وتستولى على المزيد من الارض . تاكل اللقمة ثم تمضغها جيدا ثم تاكل بعدها لقمة اخرى وهكذا ، الى ان تضاعفت مساحة اسرائيل فى الربع القرن الاخير اكثر من مرة ، وكنا نحن نكتفى بالرفض اما الكل ، واما لا شىء وكانت النتيجة اننا طوال ربع قرن لم نكن نكسب شيئا ، بل كنا ـ بمعنى ادق نخسر كل شىء ! وكان لابد من وقفة جريئة واقعيه وموضوعية ، امام ذلك الموضوع الخطير : ان كلا من الدولتين الاعظم ضامنة لوجود اسرائيل بحدودها فى عام ١٩٦٧ ، وكلا من القوتين الاعظم ـ الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى ـ لا يقبل ابدا تحت اى ظرف من الظروف المساس بتلك الحدود كما ان المجتمع الدولى بكل اسف ـ واقولها حزينا ـ يضمن الحدود ، لكل دولة من دول المنطقة ولا يسمح بالمساس بتلك الحدود ، ولذلك راى انور السادات ان السياسة الواقعية والعملية تقتضى العمل بكل ما يملك من جهود على ازالة اثار العدوان الاسرائيلى فى عام ١٩٦٧ بمعنى اجلاء القوات الاسرائيلية عن كل الاراضى العربية التى احتلت فى يونيو ١٩٦٧ وفى مقدمتها القدس والضفة الغربية ، والجولان ، وسيناء ، وتقرير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وهو ما تقرر فى كل مؤتمرات القمة العربية بدءا من مؤتمر الخرطوم الى مؤتمر الرباط وفى مؤتمرات القمة الاسلامية بدءا من الرباط ، الى لاهور ، وفى كل مؤتمرات دول عدم الانحياز و . و . اما الحديث عن ازالة دولة اسرائيل والقضاء عليها فضاء مبرما فهذا امر لا يجب التشدق به لانه غير ممكن وغير عملى ، الان ، على الاقل ! ولذلك فان انور السادات وهو فى قمة انتصاراته فى حرب اكتوبر اثر ان يخاطب العالم ، بما ينبغى ان يخاطب به ، لم تسكره خمرة النصر ، لم يغفل ابدا التدخل الامريكى السافر لحماية اسرائيل ، ولا ما يمكن ان ينجم عنه هذا التدخل من اضرار قد تلحق الخطر ، بالنضال العربى كما انه لم يغفل ابدا المؤامرات الداخلية والخارجية الاخرى التى اريد بها واد هذه الانتصارات فى مهدها . خاطب انور السادات العالم كله فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ : لقد حاربنا من اجل السلام حاربنا من اجل السلام الوحيد الذى يستحق وصف السلام وهو السلام القائم على العدل ، ان السلام لايفرض وسلام الامر الواقع لايقوم ولايدوم ، السلام بالعدل وحده»

ويتغير مجرى التاريخ : تنتهى قرون التخلف والهزيمة تطل انوار الفجر الجديد على كل شبر من الارض العربية : فجر للعرب الاحرار ، من ظلام طويل دامس ، فجر للانسان العربى بعد ليل طويل حالك ، فجر للارض التى اختارها الله سبحانه وتعالى للهداية والحكمة والرشاد ، فجر تندعم فيه قلاع الحرية لتندك فيه كل دعاوى واطماع الاقوياء . فجر الحب والبناء ، فلا مكان هنا بعد اليوم للحقد او الضغينة والبغضاء : فجر لا ذل فيه ولا اذلال ولا ظلم ولا طمع ، ولا استغلال فجر السيادة فيه للتحالف العظيم لقوى شعبنا العامل الارض لاصحابها والخير كل الخير لمن يزرع الخير ويرعى القيم ويحفظ الوفاء ؟ فجر يرفع فيه كل مواطن راسه طاعة للشعب بعد ان اصبحت القيادة للشعب.

واذا كانت معارك القتال قد توقفت الى حين فان معارك السلام والبناء والاستعداد للقتال مرة اخرى اذا ما تلكا العدو فى الجلاء عن الارض العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، واذا ما تلكا العدو فى تقرير الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى قد بدات ، واختيار معارك السلام والبناء والانطلاق يعنى ايضا اختيار الطريق الاصعب : ان معارك السلام والبناء والانطلاق اكثر مشقة وتعقيدا من معارك العبور : انها تحتاج ـ مثل معارك العبور ـ الى التخطيط الدقيق والعمل الشاق وروح التضحية والعطاء ، لقد كان من السهل علينا ـ كما فعل الاخرون ـ ان نختار معارك فات اوانها . معارك الميكروفونات والحملات الصحفية والاعلامية معارك التجريح والسب والشتم والصاق التهم بالابرياء المخلصين ؟ ولكننا لا نحب ابدا مثل هذه الطرق . اننا نفضل الطريق الاصعب لانه الطريق الذى يوصلنا الى تحقيق امال شعبنا وطموحه . ان الطريق الاصعب فى مثل تلك الظروف التى يتعرض لها شعبنا هو دائما الطريق الامثل .

صبرى أبو المجد